المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة في بحوث الميديا

محاولة لتجاوز الطّابع التنازعي حول مفاهيم الخطاب.. لماذا؟ وكيف؟

Essentially contested concepts in media research

An essay to overcome the conflictual character of discourse concepts: why and how?

عبدالحق بويـفـر
كلية علوم الإعلام والاتصال- جامعة الجزائر 3 (الجزائر)
abdelhakbouiffer@gmail.com

جميلة قادم
كلية علوم الإعلام والاتصال- جامعة الجزائر 3 (الجزائر)
Dkadem722@gmail.com

ملخص

لاتزال مسألة صياغة المفاهيم تستميل الفضول العلمي للباحثين في العلوم الاجتماعية. إنّها إشكالية تحمل هاجسًا معرفيًا لدى بعض الدوائر الأكاديمية التي تسعى إلى ردم هوة الخلاف والاختلاف بين الباحثين ومدّ الجسور بين تصوراتهم. وهنا تبرز أطروحة المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة كإطار معرفي يُقرّ بوجود هذه الفئات من المفاهيم. من هذا المدخل، ينتمي الخطاب إلى هذه الفئة التي أثقلها الطّابع التنازعي على مكوناته وسماته، مما جعل محاولة حصر مفهوم الخطاب أوعلى الأقل الحدّ من تمدّده المفاهيمي بين الباحثين في حقل الإعلام والاتصال أمراً تعترضه صعوبات. في ضوء ذلك، تشتغل مقاربة سلم التجريد على إرساء مُحدّدات علمية لإخراج هذه المفاهيم من دائرة التنازع الضّروري. وهو ما يمثّل غاية هذه الورقة البحثية التي تروم تنزيل مفاهيم الخطاب في المدارس الكبرى لتحليل الخطاب على سلم التجريد للتقليص من حدّة التنازع المفاهيمي حول الخطاب.

كلمات مفتاحية: مفاهيم الخطاب، المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة ، سلم التجريد .

Abstract

Concepts formation still attracts the scientific curiosity of researchers in the social sciences. It is an issue that carries an epistemological concern that seeks to bridge the gap between researchers. Here, the essentially contested concepts emerge as a framework that acknowledges the existence of such concepts' categories and discourse belongs to them. Nevertheless, the ladder of abstraction proposes scientific criteria to remove these concepts from the circle of essential contestedness. So, this article aims to approach the concepts of discourse from the perspective of the ladder of abstraction to reduce the intensity of the conceptual conflict over discourse.

Keywords: Discourse concepts, Essentially contested concepts, Ladder of abstraction.



رقمنة
مجلة الدراسات الإعلامية والاتصالية

المجلد 04 | العدد 02
ديسمبر 2024
الصفحات 23 - 38

ردمد | ISSN-2773-4285
EISSN | 2830-8417
الإيداع القانوني | 07/2021
العنوان | 11، طريق دودو مختار، بن عكنون، الجزائر العاصمة.
الفاكس | 50 88 23 (023)
الهاتف | 75 29 62 (0561)

تاريخ الاستلام 2024/10/28
تاريخ القبول 2024/12/01
تاريخ النشر 2024/12/26

المؤلف المرسل |
عبدالحق بويـفـر

ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

1. مقدمة:

تكشف مراجعة أدبيات البحث في علوم الإعلام والاتصال ثراء المفاهيم المستخدمة، ومع ذلك لا يبدو أن "الإطار المفاهيمي" يمثل هاجسًا منهجيًا ومعرفيًا في البيئة البحثية الجزائرية، حيث تُبين الممارسة البحثية في هذا السّياق أن استكمال الإطار المفاهيمي *Conceptuel Framework*، ما يتم اللّجوء إلى أسلوبين لتحديد المفاهيم، الأول يتمثل في الحفر في الحقل الدلالي واللّغوي بالاحتكام إلى القواميس والمعاجم، والآخر يتصل بمراجعة ما توفر من رسائل وأطروحات جامعية لاسترجاع المفاهيم الموظفة فيها.

هذا التّعود كرّس ما قد يوصف بـ "التّقليد المنهجي" الذي بات مقبولاً في البحوث الإعلامية، وهي أن المفهوم وبصرف النّظر عن بناءه المعرفي ومجال تطوره هو في نهاية المطاف صياغة لغوية قابلة للتّعريف والقياس. لقد حصرت هذه المعالجة المفاهيم ضمن الإطار القاموسي الضيّق الذي يعد جزءًا فقط من محاولة التّقرب من أي المفهوم، بل ولدت تمثّلا في البحث العلمي يَنظر إلى المفاهيم باعتبارها مصطلحات جاهزة للتّوظيف المباشر في مسار لبحث. وفي واقع الأمر، أسقطت هذه "الممارسة المنهجية" سمة التباين بشأن معاني ودلالات المفاهيم في حدّ ذاتها، وهذا ما قد يدخل مسار البحث في حالة جمود، والتّفكير في حالة تكلسّ.

في مقابل ذلك، يمكن القول إن فهم المفاهيم وتوضيح منحى استخداماتها في البحث مرهون بمستويات الإحاطة بأبعادها التّاريخية والثّقافية والاجتماعية، وهي أبعاد تستمد منها المفاهيم رصيدها من أجل أن تجدّ مكانًا لها داخل الحقل المفاهيمي الذي يطبعه النّزاع الذي يرسُم تطوّرها، وهو ما انتهى إليه الفيلسوف والمفكر ماكس فيبر M.Weber الذي يعتقد بأن أحد عوامل تطور البحث في العلوم الاجتماعية هو بروز النّزاعات على المصطلحات والتعاريف (Weber,1949,p103). بمعنى آخر، فإن النّزاع حول المفاهيم يُغذي المفاهيم، ويدفع بها نحو التّجدد وإعادة التّشكل في أي حقل أكاديمي. إذاً، فالمفاهيم تعيش في "نشأة مستأنفة".

هذا التّشخيص يتماهي مع طبيعة بحوث الإعلام والاتصال التي تتميّز بـ"طريقة بناء مواضيعها وصياغة إشكالياتها" (Davallon,2004,p30). هذا البراديغم يولي أهمية مركزية للاشتغال المكثف على بنية المفاهيم وخلفياتها المعرفية. فمن المفيد الإشارة إلى أن المهتمين بفلسفة العلوم الاجتماعية لا ينفون وجود مفاهيم يُهمين عليها الاختلاف ويُثار حولها النّزاع، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: الإيديولوجيا، الهوية، الديمقراطية، الشعبوية، الإرهاب، الجندر، القيم، وهي مفاهيم مع أخرى تنزاح في مجال البحث في العلوم الاجتماعية نحو التّخصّصات القريبة منها. ولتوضيح تمثّل هذه الفكرة في ميدان الإعلام والاتصال، نستشهد بما أورده الباحث نصر الدين لعياضي بشأن الخطاب العلمي عن تكنولوجيات الاتصال في المنطقة العربية الذي يوظّف، كما يقول، الكثير من المفاهيم على غرار "الفضاء العام" و"المجتمع المدني" و"الفجوة الرقمية"، وغيرها كمسلّمات، وليس كمفاهيم إشكالية (لعياضي،2011).

فعلاً، هذا النّوع من الإشكاليات قائم في بحوث الميديا، لكن الاهتمام بها أكاديمًيا قليل، حيث نرصد في هذا الاتجاه الدّراسة التي تناولت إشكالية استخدام مفهوم الميديا الاجتماعية في البيئة البحثية العربية، والتي ترافع لصالح المفاهيم النّسقية لتجاوز مشكلة التّباين في استخدام المفاهيم والمصطلحات التي اشتغلت عليها بحوث الميديا الاجتماعية (لعياضي، 2023) .

دون إنكار صعوبة الإمساك بمفهوم الخطاب وحصره معرفيًا لأسباب تاريخيّة تتّصل بتعدد تياراته البحثية وتشعباته الفكرية ومداخله النّظرية، والتي رافقت محاولات إخضاع "النّص" للدّراسة العلمية، إلاّ أن الملاحظ أن تناول مفهوم الخطاب جَانب، في كثير من الأحيان، مساءلة القضايا الإشكالية ذات الصّلة بالمفاهيم التي تتّسم بالتنازع عليها رغم أن هذا المفهوم سجّل حضوره القوي في العلوم الاجتماعية وعلوم الإعلام والاتصال على السّواء. ما يستوقفنا في هذا المساق هو أن الخطاب لا يُتناول، في الأعمال الأكاديمية، من زاويتي النّقاش والنّقد العلميين كونه مفهومًا إشكاليًا يشهد التّطور في سماته والتّجدد في ممارساته، بل إن بعضًا من هذه الأعمال درجت على نقل تعاريف جاهزة بعضها سقط في السّطحية.

في ضوء ما سبق، ارتأت هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على إشكالية أزمة المفاهيم في دراسات الخطاب في بحثو الميديا، وسوف نحاول التركيز على الجذور التاريخية لتبلور مقاربة المفاهيم المتنازع عليها بالضرورة، وكذا كيفية تخطي حالة النزاع والتباين في توظيف المفاهيم في العلوم الإجتماعية بصفة عامة و علوم الإعلام والإتصال من خلال طرح السؤال المركزي الآتي: هل الوعي بأن

الخطاب "مفهوم متنازع عليه بالضرورة" يعدّ جسرًا معرفيًا يسمح لمواجهة مسألة سوء توظيف مفاهيم الخطاب وتحديد سماته ومجاله في بحوث الإعلام والاتصال؟ وماهو الحل المُمكن اقتراحه لتجاوز هذا الطّابع التنازعي في بحوث تحليل الخطاب في حقل الإعلام والاتصال؟

انطلاقًا من الإشكالية المطروحة تبلورت مجموعة من التساؤلات، يمكن الاسترشاد بها في أثناء هذه الدراسة ، وهي كما يلي:

- ما المقصود بالمفاهيم المتنازع عنها بالضرورة؟
- فيما تتمثل أزمة مفاهيم الخطاب ؟
- ماهي مظاهر الاستخدامات المتعدّدة للخطاب كمفهوم في البحوث الإجتماعية؟
- ماذا يعني سلم التجريد؟
- هل يعدّ نموذج سلم التجريد حلاً معرفيًا ملائماً لتجاوز الطابع التنازعي على مفاهيم الخطاب؟.

2. المفاهيم المتنازع عليها بالضرورة .. المنطلقات والدعائم.

أخذت أطروحة المفاهيم المتنازع عليها بالضرورة *Essentially Contested Concepts* في التبلور ضمن الجهود البحثية للفيلسوف والمفكر البريطاني والتر براس غالي *W.B.Gallie* الذي تطرق خلالها إلى جملة من الافتراضات و الأفكار التي تنبني عليها هذه الأطروحة على ثلاث مراحل، وهي :

الأولى: استعرض أولى أفكاره في مداخلة أمام أعضاء الجمعية الأرسطية في مارس 1956 بضواحي لندن، وتناول فيها كيفية بروز التنازع على المفاهيم، ومستشهدًا ببما اصطلح عليه "الأمثلة الحية"، وهي: الفن، الديمقراطية ، العدالة الاجتماعية. المداخلة نشرت بعد ذلك في شكل مقال في مجلة الجمعية الأرسطية.

الثانية: نشر في مجلة الشؤون الفلسفية مقالاً ثانيًا في أفريل 1956، يتعمق فيه بمناقشة فكرة الفن بصفته مفهومًا متنازعًا عليه بالضرورة.

الثالثة: توّجت أعماله بصدور كتاب الفلسفة والفهم التاريخي *Philosophy and Historical Understanding*، وذلك في عام 1968.

بغية تخفيف أو إزالة الغموض حول المفاهيم، يشرح غالي مسألة كيفية فهم الاستخدامات المتعدّدة للمفاهيم في ميدان العلوم الاجتماعية، خصوصًا تلك التي عانت من الفشل في إيجاد الترابط بين اللّفظ *Term* والمعنى *Meaning* ، من خلال إرساء منطلقات وأسس عقلانية متماسكة بإمكانها مناقشة المفاهيم المعقدة أو تلك التي تتميز بالتّعقيد (Gallie, 1956,p196).

كما عَمِدَ غالي على تشخيص أوجه القصور خلال مسار بناء الإطار المفاهيمي موجهًا تفكيره صوب إيجاد تفسير لأسباب تنامي النّزاعات المفاهيمية[1]. فمن منظوره، فإن افتقار الباحثين لأسس مشتركة وقواعد موحدة لتعريف المفاهيم لا يعدّ سببًا كافيًا للتنازع عليها، موضحًا ذلك بالقول:

"إن فحص الاستخدامات والحجج التي تُسندها تظهر عدم وجود استخدام عام وواضح للمفاهيم يمكن اعتباره الاستخدام الصّحيح أو المقبول عمومًا على أنّه الصّحيح.. والواقع أن كل طرف يستمر في الاعتقاد بأن الوظائف الخاصة Special Functions التي يؤديها اللّفظ هي الوظيفة الصّحيحة، الملائمة أو الأساسيّة أو المهمة التي يمكن أن يعبّر عنها بوضوح اللّفظ موضع التساؤل.. لكن يستمر كل طرف في الدّفاع عن ادعائه معتقدًا بأنّه يملك حججًا وأدلة وأشكال أخرى من التّبريرات المقنعة ". (Gallie, 1956,p168)

نلحظ أن غالي أثناء مناقشته لهذه المسألة الفلسفية يضع شرطين، وهما: أن يسود الخلاف بين الأطراف المتنازعة في مسألة ***الاستخدام الصحيح*** للمفهوم، وأن يزعم كل طرف أن استخدامه للمفهوم هو ***الاستخدام الصّحيح***. بناءً على هذين الشّرطين، تتأسس النّزاعات المفاهيمية وتتجلّى في سمتين رئيسيتين، حدّدها غالي فيما يلي: **الأولى**، أنّها **أصلية تمامًا** *Perfectly Genuine* وهي المفاهيم التي تحوي بنيتها على خصائص وسمات تجعلها موضوع نزاعات لامتناهية *Endless Disputes* حول استخداماتها المناسبة والملائمة. والسّمة الثانية تتصل بصعوبة أو حتى عدم إمكانية فض أو التّوفيق بين الأطراف المتنازعة لأنّها ترتكز على أسس منطقية وعقلانية، ولوكانت هذه النّزاعات عصية على الحلّ، إلاّ أن الحجج التي تتكأ عليها الأطراف المتنازعة هي حجج مقنعة، وذلك لإثبات أن استخدامهم للمفهوم يبقى هو الاستخدام الصّحيح. لذا، يمكن القول بأنه من منظور غالي ثمة مفهوماً واحداً له تصورات عدة أو بالأحرى استخدامات لعدة لمفهوم. كما إن المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة تشير إلى **استخدامها الصّحيح** **ونزاعات حتمية لا متناهية حول استخداماتها الصّحيحة من طرف أنصارها**. (Gallie, 1956,p169)

يرصد الباحث سيدأحمد قوجيلي ثلاث ملاحظات في غاية الأهمية في التّعريف الذي يفرشه غالي، وهي: **(1)**: استخدام عبارة "الاستخدام الصّحيح" بدلاً من "التّعريف الصّحيح" للمفهوم، وهي عبارة تساور الطّرح العام الذي ينطلق منه تعريف المفاهيم بطرق استخدامها، **(2)**: استخدامه لفظ "الضّرورة" للإشارة إلى الطّابع الحتمي لهذه النّزاعات، التي لا يمكن تجنبها أو تجاهلها بأي حال من الأحوال، **(3)**: استخدامه عبارة "المتناهية" لوصف النّزاعات، في إشارة إلى طابعها المستديم والمستعصي على الحلّ. (قوجيلي،2020،ص14) .

من جانبه، يقف مايكل فريدن M. Freeden عند عبارة "متنازع عليها بالضّرورة"، ويرى أنّها لا تقترح الضّرورة فحسب، بل تضم الضّرورة المتأصّلة، والضّرورة المنطقية التي تتجاوز الزمان والمكان، والضّرورة القصوى اجتماعيا وسياسيّا (Freeden, 2014,p2).

3. شروط تحقّق المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة.

استهل غالي رحلته في البحث عن مبادئ عامة بوسعها تبيان أفضل استخدام للمفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة بين الفاعلين في حقل الصّراع. لإرساء أرضية للنقاش، اقترح غالي سبعة شروط ومعايير يستوجب توفّرها في أي مفهوم حتى يمكن تصنيفه في خانة المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة، وهي على النّحو الآتي:

أ. أن يكون ذا طابع تقويمي ***Appraisiveness***، بمعنى أن يكون دالاً على قيمة الانجاز المحقق ،

ب.أن يكون معقداً داخليًا ***Internally Complex***، وهذا يعني أن الإنجاز المحقق يتكون من عدة عناصر منظمة تستحق منحها صفة الكلّ الذي لا يتجزأ،

ج. الوصف المتنوع ***Diverse Describabilty*** أن يحتمل المفهوم الوصف بطرق كثيرة وأساليب متنوعة،

رابعًا: الانفتاح Openness أي أن يكون قابلاً للتّعديل في ضوء الظّروف المتغيرة، ومثل هذه التّعديلات لا يمكن وصفها أو توقعها مسبقًا ،

د.الاعتراف المتبادل Reciprocol Recognition، المقصود به أن يقرّ كل طرف بأن استخدامه الخاص للمفهوم هو متنازع عليه من خلال استخدامات الأطراف الأخرى، حتى وإن لم يكن لكل طرف على الأقل بعض التقدير للمعايير المختلفة التي يستند إليها الآخرون في تطبيقهم للمفهوم موضع التّساؤل، ويشرح غالي ذلك قائلاً: " ***إن استخدام مفهوم متنازع عليه بالضّرورة يعني استخدامه ضد الاستخدامات الأخرى.. وبأسلوب عدائي ودفاعي***".(Gallie,1956,p172)

سادسًا: الاستخدام النّموذجي Exemplar ويقصد به أن المفهوم المتنازع عليه يكون مرسخًا في نموذج أصلي *original exemplar* ، يعترف المتنازعون بسلطته على استخدام المفهوم (Collier,Hidalgo, Maciuceani, Op.Cit, p219). والارتباط بالنّموذج الأصلي يؤدي دورًا أساسيًا للتّفريق بين للتّمييز بين المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة والمفاهيم الغامضة *Confused Concepts*.

سابعًا: التّنافس التّدريجي Progressive Competition وهي أن يساهم التّنازع التّدريجي والدّائم على استخدام المفهوم في المحافظة على ديمومة النّموذج الأصلي وتطويره على نحو أمثل. يصرّ غالي على محورية الشّرطين السّادس والسّابع في تفسير استخدام المفهوم المتنازع عليه بالضّرورة، لأنهما يدلان على أن استخدام أي مفهوم يرتكز على اعتراف المتنازعين بأنه مشتق من نموذج واحد، وأن التّنازع الدّائم على استخدامه من شأنه أن يغذي تطور النّموذج الأصلي.

4. في نقد أطروحة المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة.

وإن استمالت أطروحة غالي تأييد عدد من الدارسين المهتمين بالتّأسيس النّظري السّياسي للمفاهيم، على غرار ويليام كونالي *W.Connally*، بيد أن أفكاره بشأن صياغة المفاهيم وظروف التّنازع عليها استقطبت أيضًا انتقادات، خاصة من قبل الباحثين في الدوائر الأكاديمية الأمريكية، والتي تمحورت حول جدوى هذا الإطار وفعاليته داخل المنظومة الفكرية والمنهجية في العلوم الاجتماعية. نحاول إذن رصد بعض هذه الملاحظات والانتقادات التي أبداها بعض الباحثين الذي اشتغلوا على أطروحة غالي.

جدول 1: بعض الانتقادات الموجهة لأطروحة المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة.

سميث كينيث	منح غالي الأولوية خلال صياغة هذا الإطار للتّنازع اللامتناهي على حساب الاستخدام، لقد فتح المجال للادعاء بأن الاستخدام غير المناسب لمفهوم ما هو استخدام مناسب وملائم حتى لو كانت دلالات ومعاني هذا المفهوم واضحة (Kenneth,2002,p332)
جون قراي	بروز هذا النوع من المفاهيم من شأنه أن يؤدي إلى استفحال النّسبية المفاهيمية Relativisme Conceptuel، قد يكون رادكاليًا، وقد يتحول إلى تناقض ذاتي (Gray,1977,pp341-343)
ديفيد كوليي وزملائه	من الصعوبة بمكان التفريق بين المفاهيم المتنازع عليها بالضرورة عن تلك القابلة للتنازع عليها. إلا أن عبارة قابل للتنازع عليه، تجعلنا نتوقع حدوث النّزاع دائمًا، رغم وجود إمكانية أن يكون موجوداً أثناء تحليل المفهوم. (Collier,Hidalgo, Maciuceani, Op.Cit, p214)
باري كلارك	أطروحة غالي لم تضع حداً واضحًا بين المفاهيم المتنازع عليها Contested، والقابلة للتنازع عليها Contestable. كما أنه لم يشرح مصدر هذا النّزاع: هل هو المفهوم في حدّ ذاته، أم هناك خلاف غير مفاهيمي بين المتنازعين. فكرة لا تضع النّقاش في المسار الصّحيح.. ثمن استخدام المفاهيم المتنازعة هو تنامي الراديكالية النّسبية في كل الخطابات العلمية. وكنتيجة لذلك، كل استخدام "غبي" لمفهوم قابل للتنازع عليه بالضّرورة سيكون موافقة بأنه بديل "للاستخدام غبي". (Clarke,1979,p124)
سامنتا بيسون	لا تعبر هذه الفئة من المفاهيم عن قواعد معيارية لمسألة الاختلاف من فرد لآخر، ولكن الاستخدام الصّحيح ينشأ حالة من اللاّتوافق حول استخدامه الصّحيح، أو بمعنى آخر، حول ما هو المفهوم في حدّ ذاته. إنّه من الطّبيعي أن يكون هذا المفهوم ليس فقط متنازعًا عليه، ولكن أن يكون قابلاً للتّنازع عليه في جوهره، وعليه ليس فقط في استخداماته، ولكن أيضًا في مكوّناته وسماته الرّئيسة هي قابلة للتّنازع عليها (Besson, 2004,p343).
مايكل فريدن	لم نصل إلى التّوافق بين هذه المفاهيم التي انزاحت إلى مجال التّنازع الضّروري بسبب عدم القدرة على الاتفاق على كيفية تقويمها.(Freeden,2014,pp2-3)

جون قيرينغ	تسوية النّزاعات المفاهيمية من خلال إيجاد حلّ عقلاني ليست معادلة يستحيل حلّها، حيث خلصت مجموعة من البحوث حول تكوين المفاهيم وتعريفها فرص التّوصل إلى تفسير شامل ومختصر لبناء المفهوم في العلوم الاجتماعية.(Gerring,1999 ,p367)

المصدر : إعداد الباحثان.

إن التّأمل في القراءة النّقدية التي انصبت على القواعد التي انبنى عليها إطار المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة في البحوث الاجتماعية، تقودنا إلى الاستنتاج بأنّ هذه النّقاشات تلتقي في محاولتها النّقدية لدحض ثلاثة مرتكزات دافع غالي عن وجاهتها أثناء بناءه أطروحته، وهي:

1. مدى أصالة وحتمية هذه النّزاعات المفاهيمية،
2. التّداخل بين المفهوم *Concept* كونه بناء ذهني مجرّد، والتّصور*Conception* الذي يمثّل تجسيدًا لهذا البناء الذّهني ضمن منظومة فكرية،
3. استحالة تسوية هذه النّزاعات المفاهيمية بالأدلة والحجج المؤسَسَة عقلانيًا.

إذاً، نستفيد من هذا الإطار بصفته معيارًا في تطوير مقاربات بديلة لتحليل المفاهيم(Collier, Hidalgo, Maciuceani,, p214) على اعتبار أن غياب نظرية تكوين المفاهيم *Concept Formation Theory* في العلوم الاجتماعية، أدى إلى بروز سوء صياغة المفاهيم *Concept Misformation* على حدّ تعبير المفكر الإيطالي جيوفاني سارتوري (Sartori,1970,p1033). هذا النّقاش يمكن ترحيله إلى دراسات الخطاب في العلوم الاجتماعية، وذلك بالاستعانة بهذا الإطار لمناقشة "الخطاب" والإحاطة به بصفته مفهومًا متنازعًا عليه بالضّرورة مع مراعاة السّياق التّاريخي والاجتماعي الذي تبلورت فيه استخدامات الخطاب المتنوعة.

5. في أزمة مفاهيم الخطاب.

لحصر مفاهيم الخطاب الأكثر شيوعًا وتداولاً في أساليب تحليل الخطاب، نستفيد مما توصلت إليه ثلاثة بحوث جعلت الخطاب موضوعًا للتفكير، وعليه نستعين بـ:

(أ) التقسيم الذي تبناه الباحث آرنو ريشارد *A.Richard* بشأن المدارس الكبرى في تحليل الخطاب (Arnaud,)،

(ب) الملاحظات التي سجّلها الباحث دومينيك مانغونو *D.Maingueneau* بشأن تطور دراسات الخطاب في مختلف هذه المدارس، (Maingueneau,2023)

(ج) اقتراحات الباحث روي لانقر *Roy Langer* لتصنيف مفهوم الخطاب المستخدم في البحوث الاجتماعية.(Langer,1997)

إضافة إلى ذلك، نقترح الأخذ بعين الاعتبار ببعض الاتجاهات التي بدأت تأخذ مكانتها في هذا التخصص البحثي. كما إننا لا نعتد، فقط، بتعريفات الخطاب المتداولة في هذه المدارس واتجاهاتها البحثية، بل نعمل على تحديد المجال الذي يشمله وسماته وعناصره التّكوينية. الجدول التّالي يجمل هذه النقاط.

جدول 2: مفاهيم الخطاب، سماتها وعناصرها التّكوينية في المدارس الكبرى لتحليل الخطاب.

المدرسة الاتجاه	رواد الاتجاه	الخطاب: السّمات والعناصر التكوينية
الأمريكية: التّحليل التّداولي (التوزيعي)	زيليـغ هاريس Z.Harris	▪ الخطاب "نص"، وَيعرّفه على أنّه تسلسل جمل مقبولة نحوياً، ▪ النّص "فِعل كلامي" أو"سلسلة أفعال كلاميّة. ▪ لا اختيار بين موضوعَيْن وَلا نوعَيْن من اللّسانيّات، لسانيّات اللّسان وَأخرى للكلام، فوصف المعطيات شكليّاً، من حيث اللّغة وَالتّركيب، هو المفهوم العملي الذي يسمح بدراسة الظّواهر اللّسانيّة.(Maingueneau,p7)
	إيمل بينفيست Benveniste.É	▪ الملفوظ منظوراً إليه من وجهة آليات وَعمليات اشتغاله في التّواصل. ▪ تلفظ يقتضي مُتكلماً وَمُستمعاً، حيث يفترض أن يكون هدف المُتكلم هو التّأثير على المُستمع. ▪ اللّغة خزان للعلامات المركّبة وفق نظام مُعين تجعل المُتكلم انطلاقاً - من الشّكل الذي يتّخذه جهاز الكلام لديه- يترجم بطريقته في الكلام بعبارات مُميّزة، وَهي تحديدًا ما يُضفيه المُتكلم على كلامه، وَعلى العالم الخارجي بنبرته الخاصة وَمؤشّراته الذّاتيّة وَطابعه الشّخصي. (بن مرسلي، ، ص314).
	جيمس بول جي J.P.Gee	▪ اللّغة في حالة استخدام. ▪ يشمل الفعل، التفكير التفاعلي، القيمة، المحادثة، بالطريقة المناسبة عن طريق الدعائم المناسبة في التوقيت المناسب بالمكان المناسب.(بن مرسلي،ص314)
الفرنسية: الاتجاه اللّساني	ف.دي سوسير F. De Saussure	▪ الخطاب هو "الكلام"،وهو نقيض لـ"اللّسان"، إنّه "سمة الإبداع لدى المُتكلّم في مقابل ما يَسِمُ اللّسان من سمات الكليّة وَالتّناهي وَالثّبوت" (Lahlou,1980,p20) ▪ اللّغة جُزء من الخطاب.
الفرنسية: الاتجاه السيميائي	رولان بارث R.Barthes	▪ هناك علاقة تماثلية بين البنية السّردية وَالخطاب في التّنظيم الشّكلي للنص، إنه المنطق الذي يُنظّم ظاهريّاً كل الأنساق السّيميائيّة مهمَا تباينت موادها وَأبعادها. ▪ النّموذج اللّساني يضم كل الأنساق الدّالة اللّفظية أم غير اللّفظية، واللّغة تحيل بقوة إلى الخطاب، فهي لم تعد شبيهة بلغة اللسانيين، بل إنّها لغة ثانية ليست وحداتها المفردات أو الوحدات الصّوتية، وإنّما أشطار خطابيّة أوسع تُحيل إلى الأشياء أو فصول الحوادث التي تدُلُّ تحت اللّغة وَليس بدونها (جبارة، 2009،ص87) ▪ إدراج السّيميائيات ضمن اللّسانيّات لتضمَّ كل المواضيع الخطابية.
		▪ هو اللغة في حدّ ذاتها التي تعدّ نشاطًا في سياق ما ليبني معنى وروابط اجتماعية. ▪ وسيلة لربط الظاهرة اللغوية واللسانية مع ظواهر سوسيونفسية: ونعني بذلك الفعل و التأثير[2] .(charaudeau,) ▪ له ثلاثة أبعاد، وهي: • بعد معرفي: استكشاف العمليات المعرفية الدلالية للبناء اللغوي للعالم، • بعد اجتماعي وسوسيونفسي: البحث عن قيمة تبادل الدلالات وقيمة تأثير الظاهرة اللغوية.

الفرنسية: **الاتجاه السوسيو سيميائي**	**باتريك شرودو** **P.Charaudeau** **دومنيك مانغونو** **D.Maingueneau**	• بعد سيميائي: استجلاء العلاقة بين بناء المعنى وتكوين الأشكال، وكيف يتم إضفاء الطابع السيميائي على المعنى (Charaudeau,1995) ▪ الخطاب هو الملفوظ énoncé من وجهة نظر السّياق الخطابي الذي يُحدّده. (Maingueneau,1975,pp11-12) ▪ حي نعالج نصّاً من حيث مُكوّناته اللّغويّة نكون بصدد مَلفُوظ، أمّا عندما ندرس ظروف إنتاج النّص دراسة لسانيّة، فإننا نكون أمام خطاب.
الفرنسية: **الاتجاه الفلسفي الإيديولوجي**	**ميشال فوكو** **M.Foucault**	▪ تجسيدٌ للإرادة وَالقوة وَالسُّلطة، إنه موضوع للرَّغبة وَالسُّلطة وَالصّراع.(فوكو،1980،ص5). ▪ ممارسات تقع في المجال الاجتماعي – التّاريخي، ▪ ضرورة " تحرير" تحليل الخطاب من هيمنة الخلفية اللّسانيّة. ▪ ينتمي فيه الملفوظ إلى صياغة خطابيّة على غرار انتماء الجملة إلى النّص، وَللملفوظ علاقة بالوظيفة التّلفظيّة التي تؤدّيها، استمّدها: من ارتباطه بمرجعيّة ما، من ارتباطه بذات ما، للملفوظ مجال مُشترك، الملفوظ كيان مادي مُستقل عمَّا دونه . (دريفوس، رابينوف، 1987، ص 45) ▪ يضبط وَيحدّد الممارسات الاجتماعيّة، وَلا يشكل فقط تمثُّلاً للمواضيع الخارجيّة، وَلكنّه يدخل في سيرورة بنائها.(Ilrich & Keller,p53) ▪ يتصل بمفاهيم إضافية وهي: التّشكيلة الخطابيّة، تشكيل الإستراتيجيّات، وتشكيل الأشياء. (Keller,p53)
البريطانية : **التحليل النقدي** **(CDA)**	**نورمان فالكلوف** **N.Fairclough**	▪ ممارسات اجتماعية تَبْني المعنى، أو الاستعمال التّفاعلي وَالسّياقي للكلام أو ترابط الاستعمال بالممارسة.(Fairclough,1995,p18) ▪ أداة تعمل على إنتاج علاقات السّلطة داخل المجتمع وَتُعيد إنتاجها، والخطاب وسيلة ملائمة لفرض السّلطة في المجتمع. ▪ دور النّصوص، أيّ اللغة وَالخطاب، في بناء العالم الاجتماعي. ▪ العلاقات السّلطوية هي علاقات خطابيّة، الخطاب يُشكّل المجتمع وَالثّقافة، الخطاب يمارس فعلاً إيديولوجيّاً، الخطاب يحمل بعداً تاريخيّاً، العلاقة بين النّص وَالمجتمع ناجمة عن فعل الوساطة. ▪ عناصر لّسانية يَزْخَرُ بها النّص، مسارات لإنتاج وَاستهلاك النّص (الممارسات الخطابيّة)، أنماط الممارسات الاجتماعيّة التي ينتمي إليها الحدث الاتصالي (الممارسات الاجتماعيّة).(Jorgensen & Phillips ,2002,p68)
البريطانية: **التحليل النقدي** **المقاربة** **السوسيو-** **إدراكية**	**تيون فان جيك** **T.Van Djik**	▪ مرادف للاستخدام الاجتماعي أو المؤسساتي في الحديث اليومي. ▪ له ثلاثة أبعاد: لغوية، الإدراك والرأي الاتصالي، التفاعل.(Langer,1997,p11) ▪ إنتاج وتلقي النصوص يقوم على أنظمة إدراكية تسمى البنى الغارقة superstructures وهي إديولوجيات فردية وجماعية. ▪ الأنظمة الادراكية هي الحلقة المفقودة بين النص والمجتمع، وبين بنية الخطاب والبنى الاجتماعية.
مدرسة فيينا : **التحليل النقدي** **(CDA)** **مقاربة المنهج**	**روث ووداك** **R .Wodak** **فرانزيانيشيك**	▪ فهم الخطاب في نطاق استخدام الأشكال اللّغويّة المُتعدّدة في مختلف تعابير السّلطة وإرادتها. ▪ أداة تعمل على إنتاج علاقات السّلطة داخل المجتمع وَتُعيد إنتاجها، وهو الوسيلة الملائمة لفرض السّلطة في المجتمع. ▪ الأشكال اللّسانية للخطابات الاجتماعية على المستوى الجزئي. ▪ استخدام اللّغة باعتبارها ممارسة اجتماعية.

التاريخي	**F.Januschek**	▪ الخطاب مؤسس ومحدّد اجتماعيًا.
الألمانية: التحليل النقدي مدرسة دويسبورغ	**ياغر سيقفريد J.Siegfried**	▪ مظاهر لسانية لممارسة خطابية. ▪ النصوص هي مظاهر فردية وعمل اجتماعي، تعبيرًا عن معرفة سيوسيوتاريخية في علاقتها بموضوع ما. ▪ النص يفهم على أنه أجزاء من الخطابات ولبنات تشكل سلاسل الخطاب. ▪ تدفق للنص والكلام والمعرفة خلال حيز زمني.
الألمانية: القراءة التحليلية	**أوتز ماس Utz Maas**	▪ أنماط لسانية مرتبطة بممارسة اجتماعية، والتي يجب تقصيها من الناحيتين الاجتماعية والتاريخية. ▪ الخطاب لا يضبط مجاله ولا يحدّد زمانه، ولكن بمضمونه. ▪ له بعد بلاغي، بعد تاريخي وبعد تأويلي . (Keller,2007,p28)
الألمانية: تحليل سوسيولوجيا المعرفة	**راينر كيلر R.Keller**	▪ ممارسات منتظمة وَمبنية للرُّموز المُستخدمة في الحقول الاجتماعيّة، التي تُشكّل حقائق مُصغّرة وَموسّعة للعوالم الرّمزية (llrich & Keller,2014, p122). ▪ يؤدي مهام الرّابط التّنظيمي بين مجموعة ذات خصوصّية للممارسات الملفوظة، وَمضمون سيميائي يقترح بنية إدراكيّة - رمزيّة مُعَيَّنة للعالم. (Keller, 2012,,p60) ▪ ممارسات اجتماعيّة حقيقية تجسدها قدرات الفاعلين الاجتماعيّين على صياغة مواضيع للنّقاش، وَجعلها تنتهي إلى فهرس متنوع يُقدمها على أنّها تأويل اجتماعي لتلك الممارسات. ▪ يتكون من: مادّية الخطاب، المُمارسات، العُدّة.
مدرسة بروكسل: التّحليل النقدي مقاربة النظرية السّياسيّة للهيمنة	**إرنستو لاكلو E .Laclau** **شانتال موف C. Mouffe**	▪ الخطاب ليس "نصًّا"ذصراع سياسي من أجل الهيمنة. ▪ يُمثّل الخطاب في حدّ ذاته شيئاً مادياً مشكلاً لوحده العالم الخارجي . ▪ مجموعة من الأفكار والمفاهيم والفئات التي يتم من خلالها إعطاء معنى للظواهر الاجتماعية، والتي يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها من خلال مجموعة من الممارسات. ▪ لا تمييز بين الأبعاد الخطابية وغير الخطابية لما هو اجتماعي، فكل الممارسات الاجتماعية يُنظر إليها على أنها خطابية. (Laclau&Mouffe,2019,p188) ▪ الخطاب ليس فقط ما يقال بل أيضًا ما نَفعله.

المصدر: إعداد الباحثان.

يتضح من خلال الجدول التّلخيصي المبين أعلاه، أن مفاهيم الخطاب تسبح في حقل صراعي متشعب وخضع لحالات من التمدد المفاهيمي، ومن الواضح كذلك أن هناك تباينا بين الباحثين بشأن تحديد مفهوم للخطاب وسماته وعناصره التّكوينية بين اللّسانيين وغير اللّسانيين، ليصبح مصدرًا لتأجيج الاختلاف بين مختلف المدراس واتجاهاتها في تناول الخطاب، مما يشرحه بقوة للانتماء إلى هذه الفئة من المفاهيم.

ضمن هذا المنظور، سنحاول استكشاف كيف ينتسب الخطاب الى عائلة المفاهيم المتنازع عليها بالضرورة. بتعبير أدق، نعمل على تنزيل الشّروط السّبعة التي وضعها غالي على مجال الخطاب حتى نؤكد انتماءه إلى عائلة هذه المفاهيم.

جدول 3: تنزيل الشروط المفاهيم المتنازع عليها بالضرورة على مفاهيم الخطاب في المدارس الكبرى لتحليل الخطاب.

الشّروط السبعة لتحقيق المفاهيم المتنازع عليها بالضّرورة	الخطاب في المدارس الكبرى	التقويم
الشّرط الأول: أن يكون ذا طابع تقويمي	مفهوم تقويمي يدل استخدام لغوي- لساني كتعبير عن ممارسات اجتماعية-إيديولوجية تضمن تحققه واستمراره في سياق معين.	تحقق
الشّرط الثاني : أن يكون معقدًا داخليًا	يتجلى بوضوح التباين في التّعاريف المقترحة في دراسات الخطاب تعقيد البنية الداخلية لهذا المفهوم.	
الشّرط الثّالث: التنويع في الوصف	هناك قابلية لوصفه بأساليب شتى وطرق متعددة	تحقق
الشّرط الرّابع: الانفتاح	ترجم دينامية التّمدّد المفاهيمي التي يعيشها الخطاب منذ عام 1953، على أنه مفهوم خضع للتنقيح المستمر مع مراعاة ما يطرأ عليه من متغيرات.	تحقق
الشّرط الخامس: الاعتراف المتبادل	يقتنع الباحثون المنتمون إلى المدراس الكبرى (المذكورة سابقًا) بأن الخطاب أصبح موضع تنازع بالضرورة، وكل طرف يدافع عن تعريفه وينتقد ما تقترحه المدراس والاتجاهات المنافسة.	تحقق
الشّرطان السّادس والسّابع: الاستخدام النموذجي والتنافس التدريجي	تقرّ الأطراف المتنازعة على أنهم يتنازعون على مفهوم مشترك يعيش حالة مستأنفة أي أنه يتطوّر ويتشكّل ويتمدّد باستمرار بفعل لذلك الصّراع.	تحقق

المصدر: إعداد الباحثان.

بالتّمعن في نتائج هذا الجدول، نستنتج أن المفاهيم المتداولة في كل من المدرسة الأمريكية والفرنسية والبريطانية والألمانية، وكذا مدرستي فيينا وبروكسل لتعريف الخطاب تستوفي، بامتياز، الشّروط السّبعة التي وضعها غالي لتحقيق التّنازع الضّروري حول استخدام دلالات ومعاني المفاهيم في العلوم الاجتماعية. وما يلفت الانتباه كذلك في حالة **الخطاب** أنه: **(1)** يُبرز بوضوح وجود استخدامات متعدّدة ومتنوعة لمفهوم الخطاب في ظلّ تمدد النّزاع المفاهيمي بين مختلف رواد المدراس الكبرى واتجاهاتها في دراسات الخطاب، **(2)** إقرار كل طرف من الأطراف المتنازعة بأن الخطاب أصبح، فعلاً، محلّ تنازع بينها، **(3)** احترام الأطراف المتنازعة المنتسبة إلى هذه المدارس، الأدلة والحجج التي يستعرضها كل طرف في النّزاع في دفاعه عن طريقة استخدامه الخاص لمفهوم الخطاب.

هذه الملاحظات الثّلاث تأسس للسّياق المعرفي الذي يسود فيه التّنازع الضّروري حول مفهوم الخطاب، وهو سياق تحكمه النّزعة التّاريخية *Historcism* (Pennanen, 2021,p40)، وتسهم في فهم طبيعة هذا التّنازع وتأويله وقيمته العلمية، كما إنّها تُبرر

حتميته واستمراره الدّائم. ولكن هل يوجد حلّ منهجي لوقف التمدّد المفاهيمي *Conceptual Stretching* للخطاب؟ (Collier & Mahon, 1993,p845). هذا التساؤل يحاول الإجابة عنه الباحث الإيطالي جيوفاني سارتوري *G.Sartori* الذي اقترح نموذج سلم التّجريد *Ladder of Abstruction* في إطار جهوده التي استهدفت تحقيق أوسع توافق مفاهيمي في ميدان البحث في العلوم الاجتماعية.

6. سلم التّجريد.. الأسس النظرية والغاية العلمية منه.

أمام هذه الوضعية التي نجد فيها الخطاب في دائرة المفاهيم المتنازع عليها بالضرورة، هل من حلّ منهجي يلوح في الأفق يسمح لنا بتحاوز حالة التّنازع على مفاهيم الخطاب، أو على الأقل تقليص الفجوة القائمة بين مختلف مدارس الخطاب واتجاهاتها؟. مبدئيًا، لا نزعم أننا نملك حلاً جذريًا لمشكلة هذه الفئة من المفاهيم، بيد أننا سنحاول الإجابة عن هذا التساؤل بالاستعانة بسلم التّجريد، وهو النموذج الذي صاغه الباحث الإيطالي جيوفاني سارتوري قصد تجاوز حالات الانسداد المنهجية في التعامل مع كثرة التّصورات المفاهيمية للمفهوم الواحد في العلوم الاجتماعية (Sartori,1970,p1003) . من منظور إبستمولوجي ومنهجي، فإن الغرض من هذه المحاولة هو إرساء تجسير معرفي بين المفاهيم المتنازع عليه بالضّرورة ونموذج سلم التّجريد. بتعبير أدق، كيف يمكن استخدام سلم التّجريد لسارتوري ليكون مفتاحًا لحلّ النّزاع على الخطاب بصفته مفهومًا متنازعًا عليها بالضّرورة.

في هذا السيّاق، نُلمع إلى أننا تمعنّا في تجربة سابقة للباحث سيدأحمد قوجيلي في محاولته لتكوين "مفهوم الأمن" باستخدام قواعد التعريف بالتّجريد التي اقترحها سارتوري (قوجيلي،2020) . وقبل الخوض في هذه التّجربة، نحاول تقديم المنطق الذي يتأسس عليه سلم التّجريد، القائم على افتراض مفاده أن كل المفاهيم تحتوي في بنيتها على تدرج يأخذ منحى عمودي من السّمات التّعريفية والعناصر التكوينية، أي إنّها تتدرّج تنازليًا من ما هو عام إلى ما هو خاص. توضيحًا لدرجات التّجريد، استعان سارتوري بالمنطق السيميائي للتّمييز بين العناصر المكوّنة للمفهوم، ونترجم ذلك في الشكل الآتي :

الشكل 1: نموذج سلم التجريد عند سارتوري.



المصدر: إعداد الباحثان

في شرحه لهذا المسار، يُبيّن سارتوري أن تسلّق سلم التّجريد في الاتجاهين (الصّعود والنّزول) يمكن أن يفرز حالتين: ***الأولى***، من أجل توسيع سعة اللّفظ يتم تقليل سماته التّعريفية وعناصره التّكوينية، بغية الحصول على مفهوم عام دون خسارة الدّقة، فيما ترتبط ***الثانية*** بزيادة توسيع سعة اللّفظ دون تقليل مضمونه، أي التّوسيع في المواضيع التي يشير إليها اللّفظ عن طريق جعل المفهوم مستعصيًا على الفهم. ونتيجة لذلك لا نحصل على مفهوم كلي. **فسلم التّجريد يتبع القاعدة التّالية: ينال المفهوم مستوًا أعلى من التّجريد من خلال تقليص صفاته وسماته التّكوينية، فدرجة تجريد المفهوم مرتبطة إذن بمدى الحالات التي يغطيها، فكلما كان**

المفهوم أكثر تجريدًا غطى مجالاً أوسع من الحالات، وكلما كان المفهوم أكثر ملموسية غطي مجالاً ضيقًا منها. بالتّأسيس على ما ورد ذكره آنفًا، يحدّد سارتوري ثلاث درجات للتجريد:

الدّرجة الأولى: المفاهيم الشّاملة *Universal Concepts*

يضم المفاهيم التي ينتمي إلى فئة المستوى العالي، ويتم الحصول عليها التنازل عن الدّلالة من أجل استيفاء متطلبات التعيين. تتميز هذه المفاهيم بأنها تغطي نطاقًا واسعًا من الموضوعات والحالات باستخدام الحدّ الأدني من الخصائص والسّمات التعريفية.

الدّرجة الثّانية: المفاهيم العامة *General Concepts*

تنتمي هذه المفاهيم إلى المستوى المتوسط، وتصنف فئة المفاهيم العامة ***General concepts*** وعلى التّضاد من المفاهيم الكلية، حيث لا تتطلب هذه الفئة التّضحية بكل المضمون من أجل استيفاء متطلبات السّعة، إنما تقيم نوعا من التوازن بين التّعيين والتّضمين. وتغطي هذه المفاهيم نطاقًا متباينًا من الحالات، لكنّه نطاق أضيق مقارنة بمفاهيم الشاملة في المستوى العالي.

الدّرجة الثّالث: تصوّر مفاهيمي تكويني *Configurative Conceptualisations*

هذه المفاهيم تقع في أسفل سلم التجريد لسارتوري، وهي مفاهيم تنتمي إلى المستوى المنخفض، وهي عبارة عن تصور مفهومي تكوينية *Configurative Conceptualisations* في منتهى التحديد، وتحتوى على الحد الأعلى من مضمون اللفظ، والحد الأدنى من سعته، ويجري الحصول عليها عبر التضحية بالمعنى التعييني *Denotation* من أجل استيفاء دقة المعنى التّضميني *Connotation* . الجدول التّالي وضعه سارتوري لتلخيص نموذج درجات سلم التّجريد .(Sartori,1970,p1044)

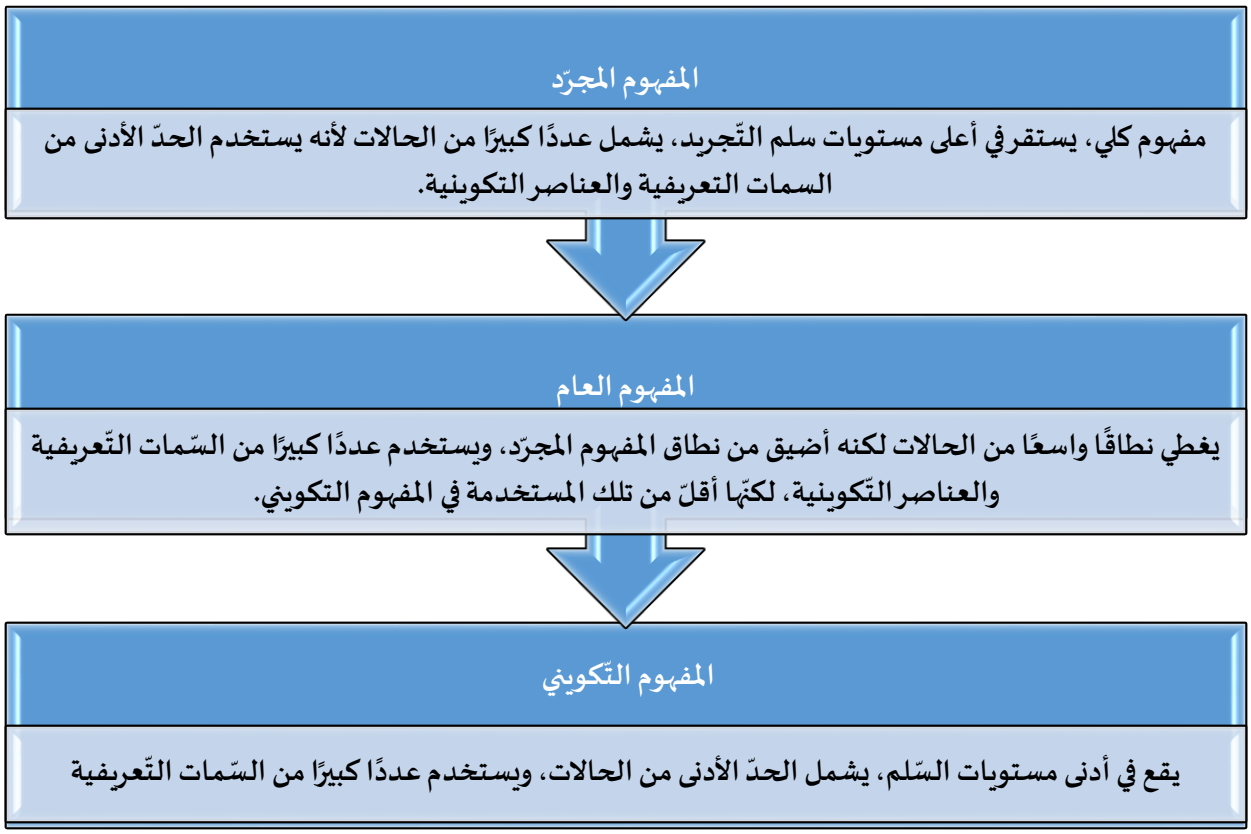
الجدول 4: درجات سلم التجريد عند سارتوري.

درجات التّجريد	المجال الرّئيسي للمقارنة والغاية منه	السّمات المنطقية والإمبريقية للمفاهيم
(م ع): فئات المستوى العالي تصور مفاهيمي كلي	▪ مقارنات عبر المناطق بين سياقات غير متجانسة (نظرية شاملة)	▪ الحدّ الأعلى من سعة اللّفظ ▪ الحدّ الأدنى من مضمون اللفظ ▪ تعريف بالنفي
(م م): فئات المستوى المتوسط تصورمفاهيمي وتصنيفات عامة	▪ مقارنات مناطقية بين سياقات متجانسة نسبيًا (نظرية المستوى المتوسط)	▪ توازن بين التّعييني والتّضميني ▪ تعريف بالتحليل، مثلاً النوع والفصل
(م ن): فئات المستوى المنخفض تصور مفاهيمي تكويني	▪ تحليل عبر الدول (نظرية القياس الضيق)	▪ الحدّ الأعلى من مضمون اللفظ ▪ الحدّ الأدنى من سعة اللفظ ▪ تعريف سياقي

المصدر:Sartori, 1970, p1044

طرح سارتوري سؤالاً غاية في الأهمية وهو: كيف نتسلق السّلم من الأسفل إلى الأعلى ؟. الإجابة عن ذلك تكون بتوسيع مجال تغطية المفهوم عبر تقليل بعض السمات التعريفية من بنيته، أي الرفع في سعته عبر التقليل من دلالاته، ويتوقع سارتوري أن نحصل على مفهوم أعم وأشمل دون أن يؤثر ذلك على مضامينه الدّلالية أو قابلية اختباره إمبريقيًا. يلخص سارتوري هذه الوضعية بالقول: "***لن يكون بالإمكان تسلق سلم التجريد والانتقال بين درجاته (من الدنيا إلى العليا)، إلاّ إذا قللنا من حمولة المفهوم: كلما كان وزن المفهوم خفيفًا ارتحل بين تلك المستويات بسهولة***"، ويعلق بيتر ماير *P.Mair* على ذلك بتعبير مجازي يقول فيه: "***..إنها مثل المناطيد الهوائية ، لابد من تخفيف وزنها لتكون لقادرة على التّحليق بعيدًا***"(Mair,p192). وعليه نحصل على الشّكل التّالي :

الشّكل 2: مستويات المفاهيم في سلم التّجريد عند سارتوري.



المصدر: إعداد الباحثان

في حالة الخطاب ومفاهيمه التي أوردناها فيما سبق تحمل الكثير من السمات والعناصر التكوينية التي طرحتها مختلف المدارس واتجاهاتها، وهي مصدر النّزاع على الخطاب بين الباحثين المتوقعين معرفيًا ضمن أطر فكرية متناظرة. وفي هذه الحالة أيضًا يبقى العكس صحيحًا، إذ أن تقليص فجوة النّزاع وهوة الخلاف على الخطاب مشروط بتقليل سماته وعناصره التّكوينية، ونروم من وراء ذلك التّوصل إلى مفهوم للخطاب يكتفي بالحدّ الأدنى من السّمات التّعريفية والعناصر التّكوينية ليكون مفهومًا مجردًا له معنى عام وشامل يسمح بتغطية أوسع مجال ممكن من الحالات، وفي سياقات مختلفة.

7. مستويات الخطاب من منظور سلم التّجريد.

ممّا ورد حتى الآن، نحاول ابتداءً في مسألة المفاهيم الخطاب (أنظر جدول رقم) ، استراتيجياتنا تقوم في الوهلة الأولى بإعادة التّفكير في تعاريف المدارس الكبرى للخطاب. بالنّسبة لنا، حصر مفهوم للخطاب ينطلق من تحديد **طبيعة علاقة الخطاب بالنّص**، بالعودة إلى سلم التّجريد لسارتوي فإنّنا نحصل على الحالات الآتية:

الحالة الأولى: الخطاب هو النّص، هو مفهوم شامل يغطي نطاقًا واسعًا من الحالات، باستخدام الحدّ الأدنى من السّمات التّعريفية، إنه مفهوم مجرد يقع في المستوى العالي.

الحالة الثّانية: الخطاب هو النّص له ممارسة الاجتماعية، قد يكون لها أبعاد إيديولوجية وتاريخية ونفسيّة. من هذا المنظور، فإن مفهوم الخطاب يقع في المستوى المتوسط، ويصنف في **فئة المفاهيم العامة**، بإمكانه أن يشمل نطاقًا واسع من الحالات والظّواهر، غير أنّه أضيق بالمقارنة بمفهوم المستوى العالي.

الحالة الثّالثة: الخاطب ليس النّص، وهو مفهوم شامل معرّف بالنّفي (التّعريف السّلبي، يُعرّف الشّيء بنقيضهEx adverso). في هذه الحالة، يصبح للخطاب مفهومًا شاملاً ومجردًا يغطي نطاقًا واسعًا من الحالات.

بمعايير سارتوري، لدينا في **حالة الخطاب مفهومين مُجردين** (دقيقة ومركّزة)، وهما: الخطاب هو النّص، و الخطاب ليس النّص، إلى جانب تعريف ثالث **مفهوم عام** يقع في المستوى المتوسط في سلم التّجريد.

من زاوية إبستمولوجية، فإن مراجعة مفاهيم الخطاب، وفقًا لمنطق البراديغمات يبرز بوضوح زاوية النّظر والمعالجة في آن واحد، تبقى محدّدة برابطة الخطاب – النّص. بالاستفادة من الحالات الثلاث التي نتجت عن تطبيق سلم التّجريد على مفاهيم الخطاب، يمكننا طرح فكرة مراجعة التّقسيم المتّصل بالمدارس الكبرى بشأن الخطاب، يمكن تناول الخطاب من منظور براديغمي، وهي:

1.البراديغم اللّساني: نقصد به مجموع التعاريف التي تنطلق من افتراض مفاده أن **الخطاب هو نص (مفهوم مجرد)**، يتمظهر **فقط** في ممارسة لغوية لسانية (فعل كلام، ملفوظ) في المجتمع. هذا الاتجاه يشترك فيها كل من هاريس، بنفيست، بول جي وَ دي سوسير.

2.البراديغم شبه اللّساني: يلتقي هذا الاتجاه في دراسة **علاقة الخطاب بالنّص** كونها **ممارسة مبنية اجتماعيًا، قد يكون لها أبعاد إيديولوجية وتاريخية ونفسيّة (مفهوم عام)**. وممن اهتموا بهذا الجانب نجد: بارث، شارودو ومانغونو (المدرسة الفرنسية)، فايكلوف وفان جيك (المدرسة البريطانية)، ووداك ويانيشيك (مدرسة فيينا)، سيقفريد وماس وكيلر (المدرسة الألمانية).

3.البراديغم الفلسفي- الإيديولوجي: يتعامل مع **الخطاب بأنه ليس النّص (مفهوم مجرد)**، بل هو فعل إيديولوجي يتمظهر في شكل ممارسات اجتماعية متعدّدة، ويتمحور حول إنتاج السّلطة وفرضها داخل المجتمع. وقد مثل هذا التيّار كل من فوكو (المدرسة الفرنسية) و لاكلو وموف (مدرسة بروكسيل).

وعلى هذا النّحو، يمكن التّخفيف من حدة النّزاع المفاهيمي على الخطاب، عن طريق الاعتماد على الحالات الثلاث التي نتجت عن توظيف مستويات التّجريد حسب معايير سارتوي، وتدعيم ذلك بتجاوز التقسيم الكلاسيكي للخطاب، وتبني منطق البراديغمات بالاستعانة بمستويات التّجريد لمفهوم الخطاب وفقا لترابط الخطاب - النّص.

8.خاتمة :

تطرقت هذه الدّراسة إلى أطروحة المفاهيم المتنازع عليها وكيفية تنزيلها على الخطاب في سياق تناولنا لإشكالية مركزية تتّصل باستخدام العدّة المفاهيمية في العلوم الاجتماعية على وجه العموم، وفي علوم الإعلام والاتصال على وجه الخصوص. إن الخطاب بصفته مفهومًا متنازعًا عليه بالضّرورة لا يُنظر إليه من زاوية أنّه مفهوم إشكالي، بل باعتباره مفهومًا انتهى إلى صياغته النّهائية، وما على الباحث سوى استخراجه من الأدبيات السّابقة لتحاشي مناقشة هذا الجانب في بحثه، وهذا المسلك لا يعبّر عن أزمة مفهوم الخطاب في واستخداماته في البحوث الاجتماعية.

في الحقيقة، نعي أن نزع الطّابع التنازعي عن الخطاب أمر صعب للغاية، لكن يمكن العمل على إرساء تجسير معرفي بين **الخطاب كمفهوم متنازع عليه بالضّرورة وإطار سلم التّجريد** بغية التقريب بين وجهات نظر مختلف المدارس والتيارات التي اهتمت

بتحليل الخطاب. ومن ثمة، تخفيف حدة النّزاع والخلاف على مفهوم الخطاب، والبحث عن المشترك بين الباحثين المهتمين بدراسة الخطاب وتحليله.

من نتائج هذه الدّراسة أن مفاهيم الخطاب تتموقع في ثلاثة تعاريف: "الخطاب هو النّص"، يقابله "الخطاب ليس النّص"، وهما مفهومان مجردان، في حين هناك تعريف ثالث يميل إلى أن الخطاب هو النّص بارتباطه بالممارسة الاجتماعية بأبعادها الإيديولوجية والتّاريخية والنّفسية.

تتيح هذه الدراسة، على الأقل، استخراج تعرفين مجردين للخطاب، والتّخلص من المفهوم التكويني الذي يقع في أدنى درجات سلم التجريد عند سارتوري. وعلى هذا النحو يتحول الخطاب إلى مفهوم قادر على تغطية أكبر عدد ممكن من الحالات والظواهر، وقابلاً للاستخدام في سياقات متباينة، دون الادعاء باسقاط صفة التّنازع الضّروري عليه بمعنى غالي، وهذا ما يحتاج إليه تحليل الخطاب في حقل البحث في علوم الإعلام والاتصال لاخصاب هذا المجال البحثي، والدّفع به نحو مزيد من النّجاعة العلمية.

9قائمة المراجع

باللغة العربية :

جبارة صفاء، (2009)، الخطاب الإعلامي بين النّظرية وَالتّحليل، الأردن، دار أسامة للنّشر وَالتّوزيع.

دريفوس أوبير و رابينوف وَبول، (1987)، ميشيل فوكو مسيرة فلسفيّة، ترجمة جورج أبو صالح،لبنان ، مركز الإنماء العربي.

فوكو ميشال، (1984) ، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا،، المغرب دار التّنوير.

قوجيلي سيدأحمد، (2020)، التعريف بالتجريد: حل مشكلة المفاهيم المتنازع عليها في العلوم الاجتماعية (مفهوم الأمن مثالاً)، دورية عمران للعلوم الاجتماعية ، العدد 9/33، ، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات.

لعياضي نصر الدين، (2011)، الرهانات الإبستمولوجية والفلسفية للبحث الكيفي: نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية، أنفاس، (تاريخ الدخول: 22 ماي 2023).الرابط:https://bit.ly/3JqQWOy

لعياضي نصر الدين (2023)، المفاهيم في بحوث الميديا الاجتماعية في المنطقة العربية: رهانات التعريفات، مركز الجزيرة للدراسات، قطر.

باللغة الأجنبية:

Arnaud, Richard ,(2009), Les discours sportif en proie aux nationalismes et à l'éthnicisation, Thèse de doctorat, département de sciences du langage,France, l'Université Paul Valéry –Montpellier III.

Besson, Samantha , (2004),Sovereignty in conflict: Post-sovereignty or mere change of paradigms?,In The sovereignty of States and the sovereignty of international law .

Clarke, Barry,(1979), Eccentrically contested concepts. British Journal of Political Science, N°1,Vol9,pp122-126.

Collier,David. Hidalgo, Fernando Daniel & Maciuceanu, Andra Olivia ,(2006). Essentially contested concepts: Debates and applications, Journals of Political Ideologies , University of California, N°3.Vol.11. pp211-2046.

CollierDavid .Mahon E James, (1993),Conceptual « Stretching » Revisited: Adapting categories in comparative analysis, The American Political Science Review,N°4, Vol.87,pp845-855.

Davallon Jean,(2004),Objet concret, object scientifique, object de recherche, Revue Hermès, N°38. France : C.N.R.S Edition.pp30-37.

Fairclough Norman,(1995), Media discourse, UK, Hodder Arnold publication.

Freeden Micheal, (2004), Essential contestability and effective contestability, Journal of Political Ideologies, N°1, Vol.9, pp3-11.

Gallie Walter Bryce, (1956A), Essentially contested concepts, Meeting of the Aristotelian Society at 21, Bedford Square, London, W.C.1 . pp167-198.

Galli Walter Bryce. (1956B), Art as an essentially contested concept, Philosophical Quartely, N°23, Oxford University Press, Vol. 6, pp 97-114.

Gerring John . (1999), What makes a concept good ?, A critical framework for understanding concept formation in the social sciences, Polity , N° 3,Vol .31, pp357-393.

Gray John, (1977), On the contestability of social and political concepts, Political Theory, N°5, pp 331-349.

Keller Reiner . (2012). Entering discourses : A new agenda for qualitative research and sociology of knowledge. Qualitative sociology review , pp. 46-75.
Keller Reiner. (2007). L'analyse de discours comme sociologie de la connaisance : Présentation d'un programme de recherche. Langage et Société , pp. 56-76.
Jorgensen Marianna & Phillips Louise,(2002),Discourse analysis as theory and method , UK, SAGE publications.
Kenneth Smith, (2002), Mutually contested concepts and their standard general use, Journal of Classical Sociology.
N°3, Vol.2 , pp329-343.

Laclau Ernesto & Mouffe Chantal , (2019), Hégémonie et stratégie socialiste. Vers une radicalisation de la démocratie, Paris, Fayard, coll. « Pluriel »Langer Roy (1997, The concept of discourse in the analysis of complex communication events, Copenhagen Business School, Working Paper/ Intercultural communication and management.
URL: <https://researchapi.cbs.dk/ws/portalfiles/portal/59176258/wpnr.26_1997.pdf>. On 17/06/2023.
Maingueneau Dominique,(2012), Que cherchent les analystes du discours ? Argumentation et analyse du discours.
URL: <https://journals.openedition.org/aad/1354>. On 13 /6/2023.
Mair Peter, (2008), Concepts and concepts formation, In Della Porta, Donatella & Keating, Micheal. Approaches and methodologies in the social sciences: A pluralist perspective, NY, Cambridge University Press, pp177-196.
Pennanen Joonas, (2021), Essentially contested concepts: Gallie's thesis and its aftermath, Faculty of Humanities and Social Sciences. University of Jyväskylä, Finland.
URL:<https://jyx.jyu.fi/bitstream/handle/123456789/77373/1/978-951-39-8802-9_vaitos03092021.pdf >.On 24/06/2023.
Sartori Giovanni.(1970), Concept misformation in comparative politics, The American Political Science Review, N°4. Vol.LXIV, pp1033-1053.
Ullrich, Keller. (2014). Comparing discourse between cultures: A discursive approach to movement knowledge. Palgrave studies , pp. 113-138.
Weber, Max, (1949), The methodology of the social sciences. Edward Shills & Henry Finch , NewYork: Free Press.